



قصة الثلاثة الذين أتوا إلى الغار

روى البخاري ومسلم في صحيحهما واللفظ للبخاري أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: انطلق ثلاثة رهط من كن قبلكم حتى أتوا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيك من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كأن لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً فلم أر عليهم حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً فلبت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتعاء وجهك ففوجعنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج. قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال: الآخر اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيتي وبين نفسها فعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفصن الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ابتعاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أداء إلي أجري. فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت إني لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستأقه فلم يترك منه شيئاً اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتعاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجو يمشون".

هذه القصة العظيمة فيها فوائد جليلة لابد لنا نحن السوريين خاصة والمسلمين عامة أن نستلهم منها العبر والعظات: فهي ترشدنا إلى سبيل الخلاص والنجاة عند نزول المصائب وحلول الكربات، وتراكم البلاء والضراء، والهموم والغموم، ويسدق عليها ما أطلقه السوريون (ما لنا غيرك يا الله)، فحين تدُلُّهم المصائب ويعظم الخطُّبُ وينقطع الرجاء من العباد، وتغلق الخلاص أبوابها، ويساوس المظلوم من نصرة البشرية له، يبقى باب واحد مفتوحاً وهو باب الخالق الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، الذي يسمع ويرى والذي يكشف البلوى ويزيل الهم، ويجلِّي الحزن والغم، ويجيب المضطرب إذا دعا، ويسمع أنين المريض والمظلوم والمكلوم إذا ناجاه.

فقد حاصر هؤلاء الثلاثة الصالحون، بعد أن انطبقت عليهم الصخرة في غار ضيق، فأحكمت الصخرة خناقها عليهم،

وأحاطت جدران وصخور الغار الأصم بهم، واشتد الحصار عليهم، وانقطعت الحيل لديهم، فلا وسائل اتصال، ولا من يسمع استغاثاتهم وصرخاتهم ونداءاتهم أحدٌ من البشر، مع المطر والريح خارج الغار، ولا شك أن طعامهم سينفذ وشرابهم سينتهي، هذا إن كان معهم طعام وشراب، وشبح الجوع سيحاصرهم، وينهي حياتهم.

الله يذكرنا بأهالينا المحاصرين وفي الغوطتين وحمص وبقي البلدان المحاصرة. وحال المعتقلين القابعين في سجون الطغاة الظالمين في سوريا الجريحة، حصار وسجن كبير وصغير، وجوع أضف إلى ذلك الخوف والهلع والتشريد والتعذيب والنزوح والقتل والأشلاء والدماء.

في مثل هذا الظرف العصيب، والموقف الرهيب، والحال المخيف العجيب، يعلم المؤمن يقيناً أنه لا نجاة له إلا بالله ولا ملجاً له إلا الله، ولا مهرب ولا مغيث له إلا الله. ولا مخلص له إلا العليم الخبير الذي يعلم حاله ومكانه وحاجته، لا تخفي عليه خافية.

بل حتى غير المؤمن في مثل هذه الأحوال يرجع إلى خالقه ومبدعه، فقد ذكر الله تعالى حال الكفرا حين تحيط بسفتهم أمواج البحر والرياح العاصفة، فتضطرّب سفنهم، فلا يسعهم إلا اللجوء بفطّرهم إلى خالقهم الذي لا ينجي إلا هو فيتضرون ويلجؤون ويدعونه وحده دون آلهتهم، فقال سبحانه وتعالى: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلُكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَلَوْا أَنَّهُمْ أَحِيطَ بِهِمْ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ الْنَّكُونَاتِ مِنْ الشَّاكِرِينَ} [يونس:22]، وقال تعالى: {وَإِذَا غَشِيْهِمْ مَوْجٌ كَالظُّلُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ} [القمان:31]

هذه القصة فيها عبر وعظات منها:

1- ضرورة الاتحاد والاجتماع وعدم الاختلاف والفرقة وخاصة في وقت الأزمات وحلول المصائب، فالثلاثة همهم واحد ومصيّبهم واحدة وكلهم مكلوم ومصاب ومهموم ، فاتحدوا كلهم وأخلصوا بالدعاء، ولم يقل واحد منهم أن هذا الأمر لا يخصني. وعلى السوريين أن يتحدوا ويجمعوا أمرهم وتتفق كلمته للتخلص من الظلم والمصاب الذي حلّ بدارهم.

2- التفكير والتخطيط الجماعي وتحقيق مبدأ الشورى لإيجاد المخرج من المصائب والنوازل.

3- تقوى الله والصلاح: {وَمَنْ يَتَّقَنَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق:2]

4- التوكل على الله وحده مع اتخاذ الأسباب للنجاة من الكربات: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق:3].

5- أهمية العمل الصالح، ويكون شاملًا متكاملاً بين أفراد الأمة المسلمة جميعها فكل فرد على ثغر، وهذا هو السبيل الوحيد الذي سيزيل الصخرة الجاثمة على صدر الأمة.

ومن العمل الصالح بِرُّ الوالدين ومخافة الله والعرفة عن الحرام في المطعم والمشرب والمنكح، وأداء الأمانة وحفظ الحقوق والأموال كما ورد في القصة وغيرها من الأعمال الصالحة المعروفة، فالأعمال الصالحة وقت الرخاء يستفيد منها الإنسان وقت الشدة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظْ اللَّهَ تَجْهَهُ تَجَاهَكَ، تَعْرِفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ) .

6- الإخلاص في العمل لوجه الله تعالى حيث قال كل واحد من الثلاثة: (اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرَجْ عَنِّا مَا نَحْنُ فِيهِ) .

7- التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، فهو من التوسل المشروع، وهي نافعة ومفيدة، ولا سيما عند الشدة.

8- الصدقة على المحتاجين والفقراء والإحسان إليهم، وعدم استغلال حاجتهم وفاقتهم، سبب لتفريح الكربات، كحال الرجل الثاني في القصة الذي تصدق بالذهب على المرأة وترك الفاحشة . فترك الفواحش والمنكرات، وكثرة الصدقات وقت

الأزمات وغيرها سبب لانفراجها. فكم من صدقة شفى الله صاحبها من مرض ووقفه مصارع السوء.

9- الدعاء والتضرع واللجوء إلى الله في السراء والضراء، وعند حلول الكرب والبلاء والاعتصام به والاحتماء بحماته: **{وَقَالَ رَبُّكُمْ إِذْ عُونَى أَسْتَجِبْ لَكُمْ}** [غافر: 60].

فبأيتها الصالحون من هذه الأمة الذين لهم خبايا من الأعمال الصالحة الخفية، أكثروا من الدعاء وتوسلوا بها إلى الباري رب الأرض والسماء ليكشف لهم ويزيل البلاء.

10- أن الابلاء بالشدائد من سنة الله تعالى في عباده المؤمنين، وعلى قدر الإيمان يكون الأجر والابلاء، فما يصيب إخواننا في سوريا من هم ولا غم ولا كرب ولا خوف إلا لهم به أجر بإذن الله، إن احتسبوا وصبروا ولم يجزعوا.

11- كم في ثنايا المحن من المحن، فهذه الكربة التي مرت بهؤلاء النفر صارت عذة للألم من بعدهم، يقتدي بهم أهل الإيمان في صالح أعمالهم.

12- طلب الفرج من الله وحده، وتعلق القلب به وحده سبحانه، دون غيره. وعدم اليأس والقنوط، فالنصر والفرج منه وحده، قال تعالى: **{حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيَّسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُبُوا جَاءُهُمْ نَصْرٌ نَّجِيَ مَنْ نَشَاءَ وَلَا يُرْدُ بِأَسْنَانَ الْمُجْرِمِينَ}** [يوسف: 110] وقال سبحانه: **{سِيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عَسْرٍ يَسِرٌ}** [الطلاق: 7]

وقيل:

وَلَرْبَّ نازلة يضيق بها الفتى *** ذرعاً عند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحکمت حلقاتها *** فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقيل:

إذا اشتملت على اليأس القلوب *** وضاقت بما به الصدر الرحيب
وأوْطَئَتِ المكاره واطمأنَت *** وأرست في مكانتها الخطوب
ولم ير لانکشاف الضر وجهًا *** ولا أغنی بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث *** يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحالات إذا تناهت *** فمقرنون بها فرج قريب

"وكم قصّ سبحانه من قصص تفريح كربات أنبيائه عند تناهي الكرب كإنجاء نوح ومن معه في الفلك، وإنجاء إبراهيم من النار، وفداء لولده الذي أمر بذبحه، وإنجاء موسى وقومه من اليم، وإغراق عدوهم، وقصة أیوب ويونس، وقصص محمد صلى الله عليه وسلم مع أعدائه وإنجائه منهم كقصته في الغار ويوم بدر ويوم أحد ويوم الأحزاب ويوم حنين وغير ذلك".

13- انتظار الفرج والصبر على المصائب أجرها عظيم، فإن مع العسر يسرا، وإن مع العسر يسرا، والنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب. وفي وصيته صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه: (واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا)، وقيل: إذا اشتد الأمر هان.

إن الأمور إذا انسدت مسالكها *** فالصبر يفتح منها كل ما ارتجا
لا تيأس وإن طالت مطالبه *** إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

وعند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضائق حلق البلاء يكون الرخاء.

ضاقت ولو لم تضق لما انفرجت *** فالعسر مفتاح كل ميسور
وقيل:

اشتدي أزمة تنفرجي *** قد آذن ليك بالبلج

فلا بد من التفاؤل والرجاء مع الصبر:

لا تيأسن من انفراج شديدة** قد تنجي الغمرات وهي شدائ

فمهما طال الألم لابد من اقتراب الأمل، ومهما طال الظلام فلا بد أن ينجل، ويبيزغ الفجر وتسقط الشمس، ومهما اشتد الحصار فلا بد للصخرة الصماء أن تنفرج، والرجاء كبير في الله وأملنا عظيم بأن تنجي كربة أهلنا في الشام وتنفرج، حتى نخرج من ظلم الطغاة، ونمشي في عدل الأباء.

فالنفوس تواقة لزوال صخور الظلم والخداع والغش والاعتداء والعداء ونهب الخيرات والفجور والشرك والبدع والخرافات، التي جثمت على صدور أهل السنة في سوريا، طيلة خمسة عقود، وسدت أبواب الخير والمعروف، فآن لهذه الصخور أن تتحطم وتتكسر على عبير الدماء الزاكية وأشلاء المظلومين، وهامات الأشاؤس، لنخرج إلى عالم ومجتمع عادل رحيم يحبه الله ورسوله، فنمشي وننحن مطمئنين نعبد الله كما أراد وشرع، وطريق الحرية مرسوم بين أعيننا.

ونكون حال هؤلاء الثلاثة الصالحين، وتكون الخاتمة لخاتمتهم "فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون".

اللهم إنا نتوسل إليك بحبا لك ولدينك ولكتابك ولنبيك ولصحابته الكرام أن تفرج الكرب وترفع اليأس عن أهلنا في سوريا.

نور سورية

المصادر: